اجتماع بوتين مع بينيت: هل هناك طبخة في الكواليس؟

هل نحن على شفا حرب كبيرة مع إسرائيل تبدأ بضربة ما على إيران فتشعل شرارة حرب كبيرة في منطقتنا؟ لإسرائيل أهداف استراتيجية دائمة وهي تعمل على تحقيقها جملة أو بالمفرّق. من هذه الاهداف ضرب المنشآت النووية الإيرانية، ضرب حزب الله في لبنان عبر عملية عسكرية بالتزامن مع عملية إلهاء داخلية يتولاها حلفاؤها في لبنان في مناطق حساسة تحيط بمناطق عبور حزب الله مثل خلدة والبقاع الأوسط والجنوب. وكذلك إبقاء الشام في حالة عدم استقرار وتوجيه ضربة كبيرة للمنظمات الفلسطينية، وربما إعادة ترتيب الداخل الإسرائيلي بما فيه فلسطينيو سنة 1948؟

لقد خصصت إسرائيل ما قيمته مليار ونصف المليار دولار لأسلحة هجومية خاصة، ناهيك عن عدد من المناورات والاستعدادات الداخلية. ولكن تردد الولايات المتحدة الظاهر في التعاطي العسكري المباشر يدفع للسؤال: هل تقوم إسرائيل بالاستعداد تمهيدا لشرارة كبيرة تستخدمها لفرض أمر واقع عسكري على الولايات المتحدة حيث هناك دائما من يرغب ويشجع على خوض حرب أميركية إلى جانب إسرائيل، بغض النظر عن النتائج.

الفينيق تفتح هذا الملف بدءا بعرض شامل للأحداث، فمقابلة مع المحلل الاستراتيجي الدكتور بسام أبو عبدالله فمقالين مترجمين من صحافة العدو.

"الفينيق"

أثار اللقاء الذي جمع الرئيس الروسي بوتين مع رئيس وزراء العدو الإسرائيلي نفتالي بينيت في الثاني والعشرين من شهر تشرين أول الماضي، جملة من التساؤلات عن طبيعة هذه العلاقة وما سمّاه الطرفان "تنسيقًا" فيما يتعلق بالشأن السوري، ومدى تأثير ذلك على العلاقات السورية الروسية من جهة والإيرانية الروسية من جهة ثانية. فهذا اللقاء الذي عُقد في سوتشي الروسية، تزامن مع قيام "إسرائيل" بمناورات ضخمة شاركت فيها سبع دول منها الولايات المتحدة الأميركية. وحسب تصريحات المسؤولين العسكريين الإسرائيليين، فإن هذه المناورات "تحاكي حربًا مع حزب الله على عدة جبهات." يضاف إلى ذلك ارتفاع وتيرة تصريحات الوزراء الإسرائيليين عن حرب قادمة مع إيران، كان آخرها ما صرح به وزير المالية أفيغدور ليبرمان تزامنًا مع اجتماع بوتين وبينت وانطلاق المناورات الإسرائيلية، حيث قال في الحادي والعشرين من تشرين أول الماضي إلى موقع "واللا" الإسرائيلي: "إن المواجهة مع إيران مجرد مسألة وقت."

القراءة المطلوبة اليوم، لابد أن تبتعد عن التهويل دون أن تغرق في التفاؤل. فما يجري في الشمال السوري لا يبدو مفصولاً عن كل ما أشرنا إليه سابقًا، لاسيما في ظل العلاقة الروسية التركية الرجراجة التي جعلت أردوغان يندفع مرة باتجاه موسكو وأخرى باتجاه واشنطن، تبعًا لما تمليه المطامح التركية في قضم المزيد من الأراضي السورية وإنشاء شريط الثلاثين كيلومترًا على الحدود، بذريعة الحد من خطر الأكراد، في حين أن الهدف الحقيقي هو الاستيلاء على تلك الأراضي بشكل نهائي!

لابد من الإشارة إلى الغارة الأخيرة التي نفذتها الطائرات الإسرائيلية في الثلاثين من تشرين أول الماضي، انطلاقًا من الجولان المحتل على مناطق تبعد اثني عشر كيلومترًا عن دمشق، أي بعد لقاء

بوتين وبينت في شوتشي، وما تحدث عنه الطرفان من تنسيق ومصالح مشتركة في سورية. فالبيان الروسي الصادر من قاعدة حميميم بعد هذه الغارة كان يشير إلى استياء روسيا من تصرفات إسرائيل بسبب قصفها لمواقع تابعة للحكومة السورية والجيش السوري كما قال نائب مدير مركز حميميم للمصالحة التابع لوزارة الدفاع الروسية، فاديم كوليت. فهذه الغارة وما أعقبها من بيان روسي، تشير إلى أن التفاهمات الروسية الإسرائيلية ربما تكون هشّة وليست استراتيجية، كما أوحت تصريحات بينيت إثر عودته من لقاء بوتين في سوتشي. فإسرائيل أغرقت في التصريحات الإيجابية عن نتائج هذا اللقاء في حين تكتم الكرملين عن تفاصيله، ولم يبق أمام المحللين سوى ما صرح به الرئيس بوتين أثناء المؤتمر الصحفي عن هذا اللقاء، وهو عبارة عن إشارات بسيطة لا توازي التفاؤل الإسرائيلي إثر هذا اللقاء.

لقد تحدث الكثيرون عن تعويل روسيا على دور يمكن أن تلعبه "إسرائيل" للتأثير على الداخل الأميركي وجذب اللوبيات اليهودية باتجاه روسيا، وربما يكون لهذا الأمر دورًا أساسيًا في حكم العلاقة بين الطرفين. فالبراغماتية الروسية المحكومة بتحصيل مصلحة موسكو من المنطقة، ستدفعها من دون شك لعقد تفاهمات مع "إسرائيل" سواء على صعيد الحرب السورية، أم على صعيد الاقتصاد ومحاولة موسكو الاستفادة من التكنولوجيا والتقنيات المعلوماتية وزيادة التبادلات التجارية مع "إسرائيل". وقد أشار بوتين بعد لقاء بينيت إلى أن حجم التبادل التجاري بين روسيا و"إسرائيل" ارتفع بواقع 50 بالمائة خلال الأشهر السبعة الأولى من العام الجاري، على الرغم من القيود المفروضة على خلفية جائحة فيروس كورونا.

الوقائع تشير إلى أن العلاقات الروسية الإسرائيلية، لم تصل إلى مرحلة يمكن وصفها بالاستراتيجية فيما يخص المنطقة، بل هي تكتيكية تتخللها الخروقات، على عكس العلاقة الروسية الإيرانية التي تراهن عليها موسكو لمواجهة واشنطن خاصة فيما يتعلق بالملف النووي الإيراني. فالثابت أن روسيا تحاول الاستفادة من الطرفين قدر الإمكان: الإسرائيلي من أجل التأثير بالسياسة الأميركية وكسب اللوبيات اليهودية، والإيراني من أجل المجابهة مع واشنطن إن اضطر الأمر، إلى جانب المصالح الاقتصادية والتجارية. تلك التوازنات لم تغب عن المنطقة في أية مرحلة سابقة، رغم خضوعها للتبدلات الطفيفة بين مجموع الأطراف!